

أحاديث رمضان ١٤٣٧ . درر ٢ . الحلقة العشرون : حقوق العلماء ؛ احترامه والنصح له وطاعته في معروف ومطابقة كلامه مع الشرع .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٦-٠٦-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر : ٢٨]

ما هو العلم ؟ ومن هم العلماء ؟ وما علاقة العلم بالخشية ؟ كيف نتعامل مع علمائنا بعيداً عن الإفراط أو التقريط ؟ من أولو الأمر وهل يطاعون استقلالاً ؟ كيف نتعامل مع هفوة العالم أو زلة العالم ؟ وكيف ننصح له بما يرضي الله تعالى ؟ تابعوا الإجابة عن هذه الأسئلة وعن غيرها في لقاء اليوم من برنامجكم درر .

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الأكارم ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم درر ، بادئ ذي بدء يسرني أن أرحب باسمكم جميعاً بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم نحن كما تعلمون نناقش في هذا البرنامج قيم الإسلام في التعامل مع الآخرين ، صنف في المجتمع هم العلماء والوجهاء ، وهؤلاء للإسلام طريقة في التعامل معهم ، لكن قبل أن أدخل في الطريقة أريد أن نبدأ بتعريف العلم ، ما هو العلم ؟ حتى ننقل إلى العالم والعلماء .

الدكتور راتب :

الحقيقة العلم إدراك المحيط ، إدراك القيم ، إدراك المبادئ ، العلم فيه قيم معرفية ، وهناك حقيقة العلم و مطالبات العلم ، أنا حينما أتعرف إلى حقيقة العلم أرى أنني ملزم أن أطلب العلم

لا يؤكد إنسانية الإنسان إلا طلبه للعلم ، لأن هناك قوة إدراكية أودعها الله فيك ، فأنا حينما أطلب العلم ارتقيت إلى المستوى الإنساني الذي يليق بي ، وحينما أعزف عن طلب العلم أصلاً هبطت عن مستوى إنسانيتي الذي لا يليق بي ، من لوازم إنسانية الإنسان طلب العلم ، الإدراك ، في الإنسان قوة إدراكية لكن هناك مدركات كثيرة ،



أخطر هذه المدركات كلييات هذا الدين .

من أنا ؟ أنا المخلوق الأول عند الله ، المخلوق المكرم ، المخلوق المكلف ، لماذا أنا في الدنيا ؟ جئت إلى الدنيا كي أدفع ثمن الآخرة عملاً صالحاً ، هذه قضايا كبيرة جداً ، حقيقة الدنيا ، حقيقة الموت ، ماذا بعد الموت ، البرزخ ، الجنة ، النار ، الله موجود ، واحد ، كامل ، الأنبياء ، الرسل ، كلييات الدين ، سرّ وجود الإنسان ، مهمته في الدنيا ، ماذا ينبغي أن يفعل ؟ إدراك حقيقة الموت ، ماذا بعد الموت ؟ الجنة ، النار ، هناك فرائض ، و سنن ، و واجبات ، و مباحات ، و مكروهات ، و محرمات ، فالعلم لا بد منه كي ينجو الإنسان .

الأستاذ بلال :

وهذا يقودني إلى السؤال الثاني وهو ينطلق من قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر : ٢٨]

كأن العلم في الآية مرتبط بالخشية ، بخشية الله ؟

الدكتور راتب :



هل يعقل أن يرى الإنسان ناراً ويقتحمها؟
مستحيل ، هل يعقل أن يرى عقرباً
ويحمله ؟ مستحيل ، موقف الإنسان من
الأخطار موقف أساسي ، موقفه من
الغنائم أساسي ، أنت حينما تعلم يقيناً
أن هذا الشيء عطاء ، عفواً أزمة أهل
النار في النار ما هي ؟ قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا

﴿ فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك : ١٠]

أزمة أهل النار في النار أزمة علم فقط ، لأن الناس سبعة مليارات ومئتا مليون ، ما منهم واحد إلا
حريص على سلامته وسعادته واستمراره ، أي إنسان ، متى يقع الإنسان في خطأ كبير ؟ إذا غفل
عن الحقيقة ، فطلب الحقيقة يؤكد إنسانية الإنسان ، والحقيقة في الدين من هو صاحب الحقيقة ؟
هو الله ، الخالق ، قال تعالى :

﴿ وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر : ١٤]

الأستاذ بلال :

ممكن أن نعرف من خلال هذه الآية أن العالم هو الذي يخشى الله ، حقق أعلى مستوى وهو خشية
الله ، والخوف من الله ، لو انتقلنا الآن إلى القيم في التعامل مع العالم ، أي الناس يتفاوتون في
نظرتهم للعلماء من شخص يقدس العالم كأنه لا يخطئ يرفعه إلى مستوى النبوة إلى شخص يستخف
بالعلماء ، نقول له : قال الإمام فلان ، يقول : نحن رجال وهم رجال، بم يمتازون عنا ؟

الدكتور راتب :

أنا أتصور خطأ عامودياً ، على هذا الخط نقطتان متباعدتان ، نقطة حمراء دنيا ، ونقطة عليا ، إن
هبطت في نظرتك للعالم تحت النقطة الدنيا فهذا خطأ كبير ، أي الاستخفاف به ، عدم التقدير له ،
لا تعبأ به ، هذا موقف غير صحيح ، موقف فيه ظلم ، وفيه حمق أيضاً، وإذا تجاوزت النقطة

الثانية الحمراء ألهته ، هذا خطأ ثان ، فنحن بفضل الله علينا التآليه شيء خطير جداً ، لذلك بعضهم يقول لما الله عز وجل قال :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾

[سورة عبس : ١]

عن رسوله ، هناك عدة آيات فيها عتب بسيط على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَبْتَ لَهُمْ ﴾

[سورة التوبة : ٤٣]

قال العلماء هذه التي فعلها النبي خلاف الأولى ، لتؤكد بشريته لنلا يؤله ، النبي صلى الله عليه وسلم أعطي هامشاً اجتهادياً ضيقاً جداً ، واجتهد ، فإذا أصاب في اجتهاده سكت الوحي إقراراً ، أما إذا لم يصب فقد صحح الوحي له ليؤكد ربنا للبشر أن النبي بشر ، تجري عليه كل خصائص البشر، و لولا أنه بشر لما كان سيد البشر .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل لا نقدر العالم ولا نستخف بعلمه ، طبعاً العالم الذي صحت عقيدته وسلوكه كما بينتم الذي يخشى الله ويخاف الله تعالى .

النبي صلى الله عليه وسلم هو المعصوم فقط و ليس ذلك لأحد من البشر :

الدكتور راتب :

قبل ذلك قيل : الفضيلة وسط بين طرفين ، الشجاعة شجاعة والتهور نقص ، والجبن نقص ، ومعظم الفضائل في وضع وسطي هو الصحيح ، هناك تطرف إيجابي وتطرف سلبي .

الأستاذ بلال :

النبي صلى الله عليه وسلم هو المعصوم والعالم ليس معصوماً .

الدكتور راتب :

لماذا عصمه ؟ لأن الله أمرنا أن نأخذ منه ، فإن لم يكن معصوماً وفعل شيئاً خلاف الأولى وطبقنا ذلك الشيء وقعنا في الخطأ ، لأنه مشرع ، ولأنه معصوم ، قال تعالى :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾

[سورة الحشر : ٧]

شيء آخر ، قال تعالى :



﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[سورة الأحزاب: ٢١]

الأولى أقواله ، والثانية أفعاله ، والثالثة إقراره وصفاته ، وهو مشرع .

الأستاذ بلال :

فإذا أخطأ العالم فهل يغفر قليل خطئه ؟

الدكتور راتب :

والله أنا بعمري الدعوي المتواضع كلما سمعت عن عالم جليل له مقام كبير عند الله وعنده زلة بكل بساطة ، وبكل راحة نفسية أقول : هذا من عدم عصمته وانتهى الأمر ، لا تكبرها ، لا يوجد معصوم في حياتنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو رأيت عالماً له مكانة كبيرة زلت قدمه في فتوى أو في موقف ، طبعاً النسبة قليلة جداً جداً ، ليس معظم فتاويه ، فهذا من عدم عصمته والأمر انتهى .

الأستاذ بلال :

وهل من فضل للعالم على العابد ؟

الفرق بين العالم و العابد :

الدكتور راتب :

مسافة كبيرة جداً ، العابد مقلد ، معنى مقلد أي عنده هشاشة لمقاومة الفتن ، الفتنة مغرية وذات قوة كبيرة مؤثرة ، فإذا لم يكن عنده علم عميق إذاً عنده هشاشة لمقاومة الفتن ، في الأحوال العادية ممكن أن ينجو ، بعصور غير هذه العصور ، بعصور الالتزام والطاعة والدين مهيمن ، حيث أن المروءة والخجل وقيم الدين قوية جداً ، الآن الفتن لا تعد ولا تحصى ، الآن يوجد إغراءات وصوارف عن الدين وعقبات ، والصوارف كثيرة ومغرية والعقبات كثيرة ومخيفة ، الآن وضع آخر ، فلذلك على الإنسان في آخر الزمان أن يطلب العلم وإلا لا تقاوم عقيدته التقليدية شهواته .

الأستاذ بلال :

أحسن الله إليكم سيدي وجزاكم عنا كل خير .



من لم يكن عنده علم عميق فعنده هشاشة لمقاومة الفتن

أخوتي الأكارم ؛ ما زال في حديثنا عن قيم الإسلام في التعامل مع العلماء والوجهاء شيء يسركم فلا تذهبوا بعيداً...

عدنا من جديد لنتابع الحديث عن قيم الإسلام في التعامل مع العلماء والوجهاء.

حقوق العلماء ؛ احترامه والنصح له وطاعة بي سرورك ومطابقتك له مع اسرع

أستاذنا الفاضل كنا قبل الفاصل تحدثنا عن موضوع وذكرنا قول ابن رجب رحمه الله تعالى إذ يقول :
" والمنصف من اعترف قليل خطأ المرء في كثير صوابه " . فلو وردنا هفوة من عالم جليل له قدر
عقيدة وسلوك ، وردنا هفوة والآن وسائل التواصل الاجتماعي تنشر السيئات قبل الحسنات ، ما
موقف المسلم من هفوة العالم ؟

موقف المسلم من هفوة العالم :

الدكتور راتب :

والله هذه الهفوة إن ذكرت مرة واحدة نتجاوزها ، أما إذا ذكرت مرات عديدة فنحن عندنا موقف
الأمانة، تقتضي الأمانة أن ننصح هذا العالم ، فلنذهب إليه وعلى انفراد ، سيدي هذه النقطة هناك
آية تخالفها ، أتمنى عليك أن تصحح هذا الموضوع من قبلك ، فأنت دع العالم نفسه يقول ، هناك
أخ اتصل بي ولفت نظري لشيء ، أو أنا أراجع الكتب والمراجع وجدت هذا الشيء خلاف الأولى ،
فأنت دع العالم يصحح خطأه ، تكون قد خدمت أتباعه وخدمته ، أما تروج الخطأ بأوساط عديدة
فهذا العمل لا يليق بالمؤمن الصادق ، له مكانته ، وهناك من ينتفع به ، أنت إذا أقنعت من حوله
بتركه عندك البديل ؟ لا يوجد عندك البديل ، ضيعتهم ، الكلام عن العلماء يحتاج إلى حكمة بالغة
بالغة ، حتى هذا الإنسان الذي يقدم شيئاً من أعماق أعماقه إذا قدم فتوى غير صحيحة ننبهه ؛ هذه
الفتوى التي تفضلتم بها هذه فتوى أخرى وهذه أدلتها أقرأها فيتراجع ، إذا كان مخلصاً يتراجع .
الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل هذا النصح لله ولرسوله ، تحدثنا عن القيمة الأولى وهي احترام العالم بحيث لا
نقدسه ولا نستخف به ، ثم تحدثنا عن القيمة الثانية وهي النصح له .

الابتعاد عن التقليد الأعمى و الخضوع بلا محاسبة :

الدكتور راتب :

ما من أحد أكبر من أن يُنقد ، وما من أحد أصغر من أن يُنقد ، أنت عندنا تهين طالب علم جريئاً ؛
صلى النبي فرض العصر ركعتين فقال أحدهم ذو اليمين : يا رسول الله أقصرت أم نسيت ؟ قال :
كل ذلك لم يكن ، قال : بعضه قد كان ، من أضعف الصحابة وأقلهم شأناً ، النبي سأل فإذا فعلاً
صلى ركعتين قال : إنما نسيت كي أسن .

على كلّ النبي صلى الله عليه وسلم ما علم أصحابه الخضوع ، بعض الصحابة عندما كانوا في سرية ، وأمر عليهم أنصاري فقال : أضرمو ناراً عظيمة ، ثم قال : اقتحموها ، قالوا : إنما آمنة بالله فراراً منها كيف نقتحمها ؟ قال : ألسنت أميركم ؟ قالوا : بلى ، قال : أليست طاعتي طاعة رسول الله ؟ قالوا : بلى لكن لا نقتحمها ، فلما عرضوا هذا



التقليد الأعمى ليس من تعاليم الإسلام

على رسول الله - الآن دقق كان الجواب تقشعر منه الأبدان - قال : والله لو اقتحمتوها لازلتم فيها إلى يوم القيامة ، إنما الطاعة في معروف . هناك مبادئ و عرف و معروف و منكر و فطرة و أشياء تخالف الفطرة ، إنما الطاعة في معروف ، يؤكد هذا المعنى قول الله عز وجل :

﴿ وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الممتحنة : ١٢]

إذا الإسلام ما ربي المسلمين على التقليد الأعمى ، على الخضوع بلا محاسبة ، قال تعالى :

﴿ وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الممتحنة : ١٢]

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل هذا الحق السادس أنتم دخلتم به فهو حق الطاعة ويحضرني هنا قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

[سورة النساء : ٥٩]

من أولو الأمر ؟ وهل طاعتهم واجبة ؟

طاعة العلماء والأمراء تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله :

الدكتور راتب :

قبل ذلك حينما قال تعالى :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

[سورة الأنفال : ٤٦]

لها معنى ، وقوله تعالى :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾

[سورة النساء : ٥٩]



منفرداً استقلالاً ، هناك أشياء أمر بها النبي لو بحثت عنها فلن تجد أصلها في القرآن ، ينبغي أن تطيع الرسول ، هذه واحدة ، أولو الأمر منكم عند الشافعي العلماء والأمراء ، والشيء الدقيق العلماء يعلمون الأمر ، والأمراء ينفذون الأمر ، كأن تقول : سلطة تشريعية وسلطة تنفيذية ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾

[سورة النساء : ٥٩]

أي تنازعت مع علماتكم أو مع أمرائكم ، كأن هذا الشيء يقع ، هناك عالم أفتى فتوى لم تكن مقبولة عند معظم الناس ، وهناك حاكم أصدر قانوناً لم يكن مطابقاً للشريعة ، قال تعالى :

﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾

[سورة النساء : ٥٩]

حينما يحيلك الله إلى الكتاب والسنة ، ماذا يعني ذلك ؟ الله خالق الأكوان يحيل عباده المؤمنين إذا تنازعت مع علمائهم أو أمرائهم إلى كتابه وسنة نبيه ، معنى ذلك أن هذا الشرع استوعب كل قضايا الناس إلى يوم القيامة ، هذا دليل قطعي على أن أية قضية في عالمنا لا بد من أن نجد حلها في الكتاب والسنة .

الأستاذ بلال :

فيما يتعلق بديننا ، أستاذنا الفاضل طاعة العلماء والأمراء ليست طاعة استقلالية وإنما تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله ، الآية الأخرى في الموضوع بعد أن تحدثنا عن حق طاعة العلماء في طاعة الله طبعاً وليست استقلالاً كما تفضلتم يقول تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل : ٤٣]

لو أن إنساناً استجد معه شيء فمن الأدب القرآني والتوجيه القرآني أن يتجه إلى العالم ويسأله .

السؤال مفتاح العلم :

الدكتور راتب :

لأن مفتاح العلم السؤال ، ولأن الله عز وجل جعل هؤلاء العلماء منارات للأمة ، إذا التبتت عليك قضية : فاسألوا أهل الذكر ، إنسان عنده آلة غالية جداً ونفعها كبير ، والتبس عليه شيء باليتها ،

يسأل الخبير ، لصالحه الدنيوي يسأل فكيف للأخرة ؟ لذلك السؤال دليل صدق ، الذي يسأل إنسان صادق ، والذي لا يعبأ عدم اهتمامه بالموضوع دليل ضعف إيمانه ، قال تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل : ٤٣]

الذين يعلمون بالقرآن ، الذكر هو القرآن
آيات كثيرة .
الأستاذ بلال :
فإذا كان الموضوع دنيوياً فمن هم أهل
الذكر ؟



الدكتور راتب :

الخبراء من المؤمنين ، يكون خبيراً ، و لا يفتتح بحرمة الربا ، يقول لك : ضعوا المال في البنك
بفائدة ، أهل الذكر الخبراء من المؤمنين .

الأستاذ بلال :

في قضايا الدنيا في قضايا الدين علماء الأمة المشهود لهم بالصلاح .

الدكتور راتب :

والسؤال دليل ورع ، والسؤال طلب علم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((الغلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ))

بحظ وأفر))

[أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء]

وكانه يشير إلى أن العلم خير من المال .

تفضيل العلم على المال :

الدكتور راتب :



يا بني العلم خير من المال ، لأن العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق، يا بني مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل وكأني لمحت من قولكم:

العلم يزكو على الإنفاق أن هناك قيمة للعالم ، تحدثنا عن قيمة الإنسان العادي مع العالم ، عبادة العالم هي أن يزكي علمه بإنفاق العلم ؟

الدكتور راتب :

الحقيقة يزكو ، يثبت ، قضية أنت قرأتها وتأثرت بها ، أنت حينما تلقيها على من حولك يزداد حفظك لها ، إذا ألقيتها مرة ثانية تفهم أبعاداً لها جديدة لم تكن قد فهمتها من قبل ، فالعلم يزكو على الإنفاق .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل العلماء كثر والناس اليوم اختلط عليهم الأمور ، وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام يخرج على الشاشة ما هب ودب ، كيف يميز الإنسان العالم الحقيقي؟

طلب العلم مقياس لمعرفة العالم الحقيقي :

الدكتور راتب :

لو أن أمامك عشرة أثواب من القماش ، وكل ثوب مكتوب عليه عدد أمتاره بلصاقة، فلو أن واحداً همس في أذنك أن هذه الأرقام غير صحيحة ما الحل ؟ يكون عندك يارد، يارد خشبي تقيس هذه الأثواب



فالبطولة أن تملك المقياس لتقيس له ، فالذي لا يطلب العلم ما عنده مقياس ، يؤخذ بالفصاحة ، يؤخذ برفع الصوت ، يؤخذ بأشياء طريفة ، فهناك أمور كثيرة يؤخذ بها الناس من بعض العلماء لكن عندهم فتاوى خطيرة ، توجيهاً غير صحيح ، فأنت إذا طلبت العلم صار عندك مقياس تقيس به الذي تأخذ عنه .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال مع الله ومع خلقه ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين